تمهيد

يضم هذا الكتاب بين دفتيه أفضل النصائح والعبر التي تعلمتها أو جمعتها طيلة ثلاثة عقود من عملي كصحفي. بعضها أتى مباشرة - دون دعوة - من حكماء شيبتهم السنون، وبعضها الآخر من مشاهدة أكفأ المراسلين وهم يعملون، وغيرها من استخلاص المعلومات والأفكار من المحنكين المتمرسين، أو من الكتب، أو من مواقع الويب (على الشبكة الإلكترونية)، وكثير منها اكتسبته من الأخطاء التي ارتكبتها، لأتعلم - في أسوأ الظروف وبأصعب الطرق- أفضل السبل وأكثرها ابتكارا وإبداعا لأداء عملي. لكن بغض النظر عن أصول ومصادر الدروس المتضمنة هنا، فقد ساعدتني على النجاة بجلدي في العديد من المناسبات، وأتاحت لي أداء مهمات مدهشة في أخرى.

عنوان الكتاب، "الصحفي الشامل"، عبارة عن جواب لأولئك الذين يحسبون أن كل نوع من المطبوعات ينتج شكله الخاص المتميز من الصحافة، ويعتبره ممارسوه - بصورة يتعذر اجتنابها - متفوقا على الأنواع الأخرى. لكن الأمر ليس كذلك. فإذا قرأت وكتبت ما يكفي من القصص والمقالات والتقارير، فسوف تدرك في نهاية المطاف أن هناك نوعين اثنين فقط من الصحافة: جيدة وسيئة. الصحافة السيئة يمارسها أولئك الذين يتعجلون الحكم بدلا من اكتشاف الحقيقة، ويشركون ذواتهم بدلا من قرائهم، ويكتبون بين السطور بدلا من فوقها، وينسخون ويفكرون بتعابير بالية ميتة من الصيغ والأنماط والكليشيهات، ويعتبرون الدقة علاوة إضافية والمبالغة وسيلة أداتية، ويفضلون الغموض على التدقيق، والتعليق على المعلومة، والتهكم والأنانية وخرق المعايير المقبولة على المُثل والمبادئ. أما الصحافة الجيدة فهي ذكية، وممتعة، ومعولة في معلوماتها، ومتوضعة ضمن السياق، وصادقة في المقصد وأمينة في الأثر، وتستخدم لغة التعبير "الطازجة"، ولا تخدم سوى قضية الحقيقة القابلة للدرك

والتمييز. وبغض النظر عن القراء، والثقافة، واللغة، والظروف، يمكن طبع هذه الصحافة في أي مطبوعة لأنها عالمية شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وهذا الكتاب سوف يخبرك بكيفية تحقيق هذا الهدف.

الأس المنطقي الآخر للعنوان يتمثل في أن كل من يأمل بأن يصبح صحفيا ناجحا هذه الأيام، في عالم تتضاعف فيه وسائل الإعلام المتاحة والمعلومات المتوفرة التي نتعرض لقصفها دون انقطاع، يحتاج لاكتساب سلسلة من المهارات الجديدة. سهولة استخدام الكلمات لم تعد كافية. عليك أن تمتلك عقلا حادا ومتسائلا، وأن ترتاح مع الأرقام والإحصائيات، وتفهم كيف تعمل وسائل الإعلام الإلكترونية، وتكون قادرا على استخدام الإنترنت للبحث، وتعرف كيف تتعامل مع المصادر التي تزداد تعقيدا وتطورا باطراد، ومع الناطقين الرسميين الذين يقدمون المعلومات مفسرة حسب مصالحهم، وتتمكن من إنتاج صحافة تتفوق في المعلوماتية، والجدة، والمعولية على المنافسة المنتشرة. وإذا بدت القائمة طويلة فلأنها كذلك بالفعل. الكتاب يهدف إلى تقديم وصف لهذه التقنيات الجديدة، التي تستطيع - عند إضافة التقنيات التقليدية - أن تصنع منك صحفياً ماهراً وعالمياً وشاملاً.